عهد طاهر بن الحسين إلى ابنه عبد اللّه "دراسة في السياسة الإدارية من خلال كتاب تاريخ الرسل والملوك للطبري"

الدكتور
عدنان هرير جودة الشجيري
جامعة بغداد - كلية الهندسة

ملخص البحث

البحث قراءة في عهد (رسالة) عميد الأسرة الطاهرية ووالي خراسان في عهد المأمون العباسي طاهر بن الحسين الى ابنه عبد الله الذي عينه المأمون واليا على الرقة وقد جاء ذكره في كتاب تاريخ الرسل والملوك لابي جعفر محمد بن جرير الطبري في جزئه الحادي عشر طبعة ليدن سنة (١٨٨٢ -١٨٨٣م) وهو واحد من أكثر العهود التي كتبت في موضوع الإدارة أهمية كونه جامعا للسياسة الإدارية العربية الإسلامية بكافة أبعادها ، كما انه يعد برنامجا للسياسة الإدارية تصلح قراءته واستشراف معانيه في كل زمان ومكان وخصوصا من قبل الساسة الذين يرومون إقامة أنظمة على الطراز الإسلامي .

إن طول العهد وشموليته اضطرنا إلى اختصاره والتركيز على مواصفات الوالي وواجباته ،الذين يشكلان محورين رئيسين للبحث .

المقدمة :

حرص العرب المسلمون على إقامة ادراة ناجحة ومتميزة تعكس مبادئ الإسلام وقيمه الاصيلة وعادات العرب واخلاقياتهم،وهذا ليس بالامكان تحقيقه الا من خلال ايجاد الشخصية المناسبة واللائقة التي تصلح للسياسة والادارة والحكم ، وبمعنى آخر ان نجاح الادارة متعلق بقدرة رئيسها وفشلها من فشله، لذلك كانوا حريصين على ان يكون قادتهم الاداريون من ذوي الكفاءات العالية ، ولتشخيص تلك المواصفات وضعت نظريات ورسائل وعهود كان من بين ابرزها العهد الذي كتبه مؤسس الاسرة الطاهرية ووالي خراسان في عهد المأمون العباسيأبو الطيب طاهر بن الحسين(١) ألى ابنه

عبدالله (٢)الذي عينه المامون نفسه واليا على الرقة وتوابعها الادارية كديار بكر وربيعة.

يتألف العهد الذي أورده الطبري في تاريخه تاريخ الرسل والملوك في الجزء الحادي عشر طبعة ليدن ١٨٨٢ – ١٨٨٣م من عشرين صفحة حاولنا اختصارها بالتركيز على محاورها الرئيسة والتي تتضمن مواصفات الوالي (الحاكم) وواجباته.

جاء اختيار العهد للدراسة كونه جامعاً للسياسة الادارية الاسلامية في كافة ابعادها وفي جميع شؤونها ويكتسب العهد اهميته ايضا من خلال تحشيده للافكار والرؤى ومعالجة الواقع الذي فيه ، كما جاء ليؤسس خطاباً ليس معاصراً ومعانقاً لحاضره وحسب وأنما هو خطة بعيدة الغور متعددة الافكار وصالحة للتطبيق في أية مرحلة مستقبلية يواجهها اصحاب القرار في خضم تجاذبات الواقع السياسي والاجتماعي والفكري ، وبمعنى أخر ان العهد يعد برنامجاً سياسياً وادارياً تصلح قراءتهواستشراف معانيه وخصوصا من قبل الساسة الذين يرومون اقامة نظام حكم على الطراز الإسلامي.يتألف البحث من مقدمة ومبحثين وخاتمة مركزة : تناول المبحث الاول مواصفات الوالي الاسلامي فيما تناول المبحث الثاني واجبات الوالي الاسلامي واختتمت البحث باهم النتائج التي توصلت اليها .

المبحث الاول

مواصفات او مميزات الوالي (الحاكم) الأسلامي

أولاً : الخصائص العقائدية والخلقية للوالي

جاء في الاثر ان العدل اساس الملك فهو بذلك المرتكز والاساس الذي تقوم عليه ايه ادارة ناجحة ، فهو لا يختص بزمن ولا بفئة بشرية دون اخرى بل هو سنة كونية وظاهرة سوسيولوجية تأتي ثمارها في ازدهار المجتمع ونظام الحكم عندما يمارسها رجال السلطة الى جانب الافراد ، بينما يؤدي الظلم ليس الى انهيار النظام السياسي وحسب بل الى انهيار النظام الاجتماعي لاي جماعة بشرية أيضاً.

وعلى ضوء هذه الاهمية للعدل كان طاهر بن الحسين شديداً في توكيده على صفة العدالة عند الوالي الذي يمثل قمة الهرم في الجهاز الاداري ويؤكد في ذات الوقت على

اهمية التفاعل بين ذات الوالي ومبدئه وعندما يعي عظم المسؤولية الملقات على عاتقه وجسامتها سينطلق بحركته بوعي ومسؤولية بغية اسعاد العباد وازدهار البلاد ، وبذلك وضع طاهر البذرة الاولى للبداية الصحيحة للقيام بحكم عادل وبشرطه الاصعب بتحديده المواصفات الواجب توفرها في القائد الإداري والتي تنطلق من الخوف من الله وخشيته في السراء والضراء وفي السر والعلن قائلاً:((عليك بتقوى الله وحده لاشريك له وخشيته ومراقبته ومزايلة سخطه))(٣) فالتقوى حسبما يشير اليها العهد ذات بعدين الاول : العمل بالفرائض الدينية والواجبات والثاني : اجتناب المحظورات فأشار الى الاولى بتعبير الخشية والى الثاني بتعبير مزايلة سخطة.

ومن مظاهر التقوى التي ينشدها العهد المواظبة على الصلوات وصلاة الجماعة مع الالتزام الكامل والصارم بكافة شرائطها ، فالصلاة هي العهد بين الإنسان وربه فهي تنهى عن الفحشاء والمنكر قائلاً : ((واظب على ما افترض الله عليك من الصلوات الخمسة والجماعة في مواقيتها والالتزام بشرائطها))(٤)كما امره بالتفقه في الدين لانه اجمل ما يزين به المرء صدره وهذا لن يأتي الا من خلال التقرب من العلماء والفقهاء ومصاحبتهمومجالستهم قائلاً:((واثر الفقه واهله والدين وحملته وكتاب الله والعاملين به فأن افضل ما يزين به المرء صدره التفقه في دين الله والطلب له والحث عليه والمعرفة بما يقرب منه من الله سبحانه وانه الدليل على الخير كله والتأني من الموبقات والمعاصي كلها))(٥)ومن بعد كتاب الله امره بأقتفاء اثر الرسول الكريم محمد (ص) والسلف الصالح من بعده والتخلق بأخلاقهم والسير على نهجهم قائلا : ((عليك الاخذ بسنه رسول الله (ص) والمثابرة على خلائقه واقتفاء اثر السلف الصالح من بعده))(٦)ويستمر طاهر بن الحسين بتأكيده على القيم والشروط العقائدية والاخلاقية التي لابد ان تتوفر في شخصية الوالي الاسلامي لايمانه بان الاخلاق هي الضمانة الحيوية لحسن تطبيق المنهج السياسي للعدل الاجتماعي وفيما عداها لا يتلقى الافراد من رجال الحكم والادارة غير الصفات السلبية التي يتحمل نتائجه المجتمع والتي اجملها او بعض منها في عهده لابنه فقد اوصاه بالصدق وعدم الكذب على الرعية لانه سرعان ما ينكشف فتسقط هيبته عندهم وان يتجنب الاقوال غير المسنودة بالافعال والاعمال قائلاً :((ان اولى فساد المرء في عاجل الامور هو بتقريب الكذب والجرأة عليه لان الكذب

رأس المأثم والزور والنميمة خاتمتها))(٧) ثم كرر عليه القول قائلاً: ((اشدد لسانك من الكذب والزور واقصي النميمة))(٨)كما اوصاه بالاعتدال في الحكم والابتعاد عن التهور والتسرع كما حذره من سوء استخدام السلطة فيتحول من حاكم خادم للافراد الى سيف مسلط على رقابهم قائلا:((اياك ان تقول اني مسلط عيلكم أفعل ما أشاء فأن ذلك مؤشر على نقص الرأي وقلة اليقين باالله))(٩) كما أوصاه بالمراجعة الذاتية للنفس ودوام مراقبتها للكشف عن ايجابياتها وسلبياتها حتى يتمكن من تطوير الايجابيات والقضاء على السلبيات وهو ما نسميه بالمصطلحات الحديثة بالنقد الذاتي قائلاً:((وتفرد في تقويم نفسك))(١٠)وبين كذلك ان الاعتدال والتصرف السليم ينم عن رجاحة عقلية ومقدرة تورث له العز والهيبة لسلطانه ودعاه الى ((الاقتصاد في الامور كلها فليس ابين نعمه ولا احضر امناً ولا اجمع فضلاً من القصد والقصد داعية الى الرشد والرشد دليل على التوفيق والتوفيق منقاد الى السعادة وقوام للدين والسنن الهادية فأثره في دنياك كلهاواعلم ان القصد في شأن الدنيا يورث العز ويحصن الذنوب))(١١)كما بين له الاهمية التي تنطوي عليها مسالة تنفيذ الواجبات في وقتها المحدد وعدم تأجيلها الى وقت اخر قائلاً ((افرغ من عمل يومك ولا تؤخره لغدك واكثر مباشرته بنفسك فأن لغد اموراً وحوادث تلهيك عن عمل يومك الذي اخرت))(١٢).

وقد أختتم حديثه عن المواصفات العقائدية والاخلاقية بمجموعة من الوصايا والارشادات الاخلاقيةالتي اسداها لابنه لتكون دليلاً لسلوكه اليوميفي الحياة قائلاً:((ولا تحتقرن مذنباً ولا تمايلن حاسداً ولا ترحمنّ فاجراً ولا تصلنّ كفوراً ولا تداهن عدواً ولا تصدقن نماماً ولا تأمن غداراً ولا توالين فاسقاً ولا تتبعاً غاوياً ولا تحمدن مرائياً ولا تحقرن انساناً ولا تردن سائلاً فقيراً ولا تجبن باطلاً ولا تلاحقنّ ضاحكاً ولا تخلفن وعداً ولا ترهبن فاجراً ولا تعملنّ عصياً ولا تأتينّبذخاً ولا تمشينّ مرحاً ولا تركبنّ سفهاً ولا تفرطن في طلب الاخره ولا تدفع الايام عيانا ولا تغمض عن الظالم رهبة منه او مخافة ولا تطلبن ثواب الاخرة بالدنيا))(١٣).

ثانيا : الثقافة

أن ثقافة الوالي واحدة من اكثر المواصفات أهمية له وذلك لدورها الكبير في تأمين الحقوق والواجبات بين افراد المجتمع وبينهم وبين السلطة على المبادئ العلمية

والاخلاقية والعرفية التي تقتضيها مصلحة الولاية ولعل اهم عناصر الثقافة المطلوبة من وجهة نظره هي الثقافة الدينية لاهميتها العقائدية والاخلاقية في توسيع وتعميق المعرفة بأرادة الله والعمل بهذه الارادة والحث عليها لما فيها من خير وصلاح للعباد والبلاد قائلاً :((أثر الفقه واهله والدين وحملة كتاب الله والعاملين به فأنه افضل ما يزين به المرء صدره التفقه بالدين والطلب له والحث عليه والمعرفة بما يتقرب منه من الله فأنه الدليل على الخير كله والقائد له والامر به والناهي عن المعاصي والموبقات كلها مع توفيق الله تزداد معرفة بالله عز وجل واجلالاً له ودركاً للدرجات العلا في المعاد))(١٤) كما أوصاه بالاكثار من مشاورة أهل العلم والتجارب واصحاب المعرفة والعقول النيرة والحكمة والاستئناس بأرائهم قائلاً :((اكثر من مشاورة الفقهاء وخذ عن أهل التجارب وذوي العقل والحكمة..))(١٥).

وفي الوقت الذي كان فيه طاهر يحث ابنه على مشاورة اهل العلم ومجالستهم كان قد نهاه عن مخالطة البخلاء او الاقتراب منهم لانهم شر من الشرور مستنداً في ذلك على قول الله تعالى ((ولا تحسبن الذي يبخلون بما أتاهم الله من فضله خير لهم بل هو شر لهم))(١٦)وان ضررهم اكثر من منفعتهم قائلاً:((ولا تدخلن في مشورتك اهل الدقة والبخلِ ولا تسمعن لهم قولا فضررهم اكثر من منفعتهم)).(١٧)

ان اهتمامه وتركيزه على الثقافة العقائدية لا يعني اهماله للجوانب الثقافية الاخرى وفي مقدمتها الثقافة التاريخية وذلك لما لها من أهمية في معرفة احوال البلد واوضاعه الاجتماعية والاقتصادية والسكانية وما دالت عليه من دول واستنباط العبر والدروس من معطياتها بغية الاستفادة منها عند برمجة نظام حكمه قائلاً ((واعتبر بما ترى من امور الدنيا ومن مضى من اهل السلطان والرئاسة في القرون الماضية والامم البائدة))(١٨).

وتتجلى أهمية الثقافة للوالي أيضاً في الامور المالية بأعتباره المسؤول المالي الاول في الولاية فهذه المسؤولية تتطلب منه ان يكون على معرفة بعلم الحساب والتدقيق لمعرفة واردات ولايته والطريقة التي تجمع فيها وكذلك المصاريف وكيفية إنفاقها وفائض الخزينة والمبالغ المقرر أرسالها للخزينة المركزية في بغداد قائلاً :((اعرف ما يجمع عمالك من الأموال وما ينفقون منها))(١٩).

ثالثاً : العدل في القضاء

السلطة القضائية احد اهم سلطات الدولة وبها يفرق بين الحق والباطل وتقام الحدود وينصف المظلوم من اجل ان يعم الامن والامان والطمأنينة والسلام ، وقد عرفه طاهر في عهده :((بأنه ميزان الله الذي تعتدل عليه الاحوال في الارض وبأقامة العدل في القضاء والعمل به تصلح الرعية وتأمن السبيل وينصف المظلوم ويأخذ الناس حدودهم وتتحسن المعيشة))(٢٠)ومن اجل تحقيق هذا الهدف يجب الحكم بما أنزل الله في قرآنه ولا حياد عنه ومن يحد عن شرعة الله فأولئك هم الظالمون والنار مثوى لهم مستنداً في ذلك على قول الله تعالى:((ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون))(٢١) وأوصاه بأن يتبع أسس وقواعد واصول المحاكمات التي كان يقوم بها السلف الصالح والقائمة على :((البينة على من ادعى واليمين على من أنكر والتريث في اتخاذ القرارات وعدم الاستعجال حتى يتبين الحق من الباطل من خلال التدقيق العميق والتمحيص في الدعاوي وشهادة الشهود وفيما اذا كان هولاء الشهود صادقين في اقوالهم ام شهود زور والابتعاد عن الرشا والوساطات ولا محاباة ولا محاماة وعدم الميل عن الحق لا لشريف لشرفه ولا قريب لقربة ولا مسؤول لسلطانة وان ينصف المتهم بحقه في الدفاع عن نفسه واحترام انسانيته وعدم استخدام القوة ضده فيسبيل انتزاع اعترافات منه بالاكراه والوقوف عند الشبهات بالحجة لان الخطأ في العفو خير عند الله من عقوبة بلا جريمة لان الدماء بمكان عظيم عند الله فلا يجوز انتهاكها بغير حقها))(٢٢)كما اوصاه بعدم التمادي في العقوبة وان تكون على قدر الجريمة وان لا يعطل عقوبة ولا يتهاون بها قائلاً ((وأتم حدود الله في اصحاب الجرائم على قدر منازلهم وما يستحقوا ولا تعطل ذلك ولا تتهاون به ولا تاخذ عقوبة أهل العقوبة فان تفريطك في ذلك يفسد عليك حسن ضنك وأعزم في امورك))(٢٣)

رابعاً : الفطنة وحسن الاختيار

من الامور البديهيةان حكومات الولايات في الدولة العربية الاسلامية تتألف من الوالي رئيساً وعدد من المساعدين الإداريين والعمال الذينيطلق عليهم بطانة الوالي والذين لهم دوراً كبيراً في برمجة مشاريع الولاية وقيادة مسيرتها نحو الصلاح والفلاح أو جرها نحو الفساد والانحراف لذلك طالبأبنه بأن لا يكون اختيار هذه البطانة اختياراً

عشوائياً او مبنياً على معلومات شفهية يدلي بها اصحاب النفوذ بغية حصول ابنائهم او اقاربهم او اصدقائهم على موطئ قدم في المراكز المهمة في الحكومة الجديدة من اجل تحقيقهم لمكاسب غير مشروعة قائلاً :((ولا تنهض احداً من الناس في ان تولية في عملك قبل ان تكشف امره))(٢٤) وشدد على أبنه في اختياره لعمال الكور لمسؤولياتهم الواسعة والجسيمة في الامور الادارية والمالية قائلاً:((أستخدم في كور عملك ذوي الرأي والتدبير والخبرة والتجربة بالعمل والعمل بالسياسة والعفاف))(٢٥).

ان الاحتراز الذي ابداه طاهر حيال تعيين عمال الكور ناجم عن خوفه من ان تدفع السلطة والمال بعض هؤلاء نحو الفساد والانحراف لذلك فأن مبدء حسن النية بهؤلاء لم يعد كافياً وانما عليه ان يستخدم اسلوب الرقابة السرية بواسطة شبكة من المخبرين السريين او العيون لغرض جمع المعلومات عن مسيرة هؤلاء الموظفين وابلاغها الى الوالي ليتخذ ما يراه مناسباً بحقهم قائلاً :((اجعل في كل كورة اميناً سرياً يخبرك بأخبار عمالك ويكتب اليك بسيرتهم واعمالهم حتى كأنك مع كل عامل منهم معاين))(٢٦)

ان الصرامة التي اوصى بها طاهر أبنه في التعامل مع موظفيه كان يقابلها في الجانب الاخر شئ من اللين أيثاراً لجهود هؤلاء وتقديراً لخدماتهم فقد اوصىاه بأن يحسن التعامل معهم وان يكافئ الذين يثبتون جداره في العمل قائلاً ((وسع عليهم في ارزاقهم))(٢٧) فهو بذلك اراد ان يضرب عصفورين بحجر واحد إذ أن تكريم الموظف وتحسين وضعه المعيشي سيجعله يتفانى في اداء واجبه ويبعد يده عن التطاول على المال العام والانغماس في الرشا.

أن اسلوب الرقابة التي اوصى بها طاهر ابنه بأستخدامها لم تشمل عمال الكور لوحدهم وانما شملت جميع الموظفين والعاملين في ديوان الوالي،اذ ان عمل هولاء اخطر، ففي حوزتهم معظم معلومات الولاية وأخبارها وإن ايصال هذه المعلومات والاخبار الى الوالي في الوقت المناسب ستمكنه من اتخاذ القرار المناسب في وقت سريع أما اذا تأخر وصولها ستفسد عملية لحظة اتخاذ القرار المناسب وبالتالي ستدفع ليس الوالي لوحده وانما الولاية بكاملها نحو الهاوية ، قائلاً: ((وانظر في عمالك الذين في حضرتك وكتابك..))(٢٨) فأمره ان يخصص يومياً جزءاً من وقته لمقابلة عماله وكتابه قائلاً : ((فوقف لكل رجل منهم في كل يوم يدخل فيه عليك..))(٢٩) للأطلاع على

عمل كل واحد منهم ومناقشته فيه، ولكي لا تكون المقابلة روتينية وصورية اشترط ان يحمل كل موظف عند المقابلة الكتب التي تخص عمله والطلبات التي في حوزته لمناقشته فيها واتخاذ القرار المناسب بها قائلاً : ((على ان يحمل كل واحد منهم كتبه المكلف بها وما عنده من حوائج عمال الكور))(٣٠) واشترط على ابنه بأن تجري المناقشة مع موظفيه بتركيز عالي وببصيرة وعقل مفتوحين فلا ضير من تكرار المناقشة في حالة عدم التوصل الى قرار مناسب في المسائل المطروحة في المناقشة الاولى قائلاً :((افرغ ما يورد اليك من عمالك سمعك وبصرك وفهمك وعقلك وكرر النظر له والتدبير له))(٣١) والغاية من ذلك حتى يعرف ما هو جدير بالموافقة فيوقعه ويرفض ما هو غير جدير بها قائلاً :((فما كان موافقاً للعزم والحق فامضة وما كان مخالفاً لذلك فأصرفه الى ان تتثبت منه والمسائلة عنه))(٣٢).

خامساً: العلاقة المباشرة مع الناس

يعتبر الوالي المسؤول الاداري الاول في الولاية وبيده جميع السلطات التنفيذية ، فتعدد مسؤولية الوالي وتنوعها تتطلب منه تعيين شبكة من المساعدين الإداريينوالمسؤليين الثانويين لمساعدته في انجاز الاعمال التي يكلفون بها من قبله،فهؤلاء نطلق عليهم بالمصطلحات السياسية الحديثة مصطلح البرجوازية الحديثة المحيطة بالوالي وهم في حقيقة امرهم مراكز قوى ونفوذ جديدة تؤثر على التوجه السياسي للوالي بشكل أو بأخر فتحركه وفقاً لارادتها ومصالحها ولذلك كان يبدي احترازه من تلك الظاهرة ، وان الضمانه الوحيدة والفعالة لوئدها هي بالعلاقة المباشرة مع الناس من غير حجاب ولا وساطات. لتصبح تلك العلاقة منهجاً أسلامياً تضع من خلاله قرارات الحق والعدل قائلاً:((واكثر الاذن للناس والق لهم في المسائلة والمنطق واعطف عليهم بجودك وفضلك واذا اعطيت فأعط بسماحة وطيب نفس والتمس الصنيعة والاجر غير مكدر ولا منان فأن العطية على ذلك تجاره مربحة ان شاء الله..))(٣٣)كما أمرهأن يتولى عماله وكتابه الذين يعملون في ديوانه بأستلام طلبات وحوائج الناس جميعاً وبدون استثناء ورفعها اليه شخصياً وبدون تأخير لاتخاذ القرار المناسب بشأنها قائلاً:((وانظر في عمالك الذين بحضرتك وكتابك وما لديهم من حوائج رعيتك..))(٣٤)ومن لم يستطع الوصول الى ديوان الولاية كالفقراء والمساكين والمحتقر الذي لا علم له بطلب حقه فأسئل عنهم ولا

تشهر بهم كما امر بأن يفتح مكاتب لاستقبال طلبات الناس وان يوكل عليها أفرادامن ذوي الاصلاح والعدل لتدوين الطلبات والحاجات ومن ثم رفعها اليك للنظر فيها من قبلك شخصياً قائلاً :((وافرد نفسك للنظر في امور الفقراء والمساكين ومن لم يستطع رفع مظلمة اليك والمحتقر الذي لا علم له بطلب حقه فأسأله عنهم واخفي مسائلة ووكل بأمثاله اهل الاصلاح من رغبتك ومرهم برفع حوائجهم وحالاتهم اليك للنظر فيها بما يصلح الله امرهم..))(٣٥)

سادساً : أعتماد الشورى وتقريب العلماء

تعد الشورى من المبادئ الاساسية للحكم في الاسلام بقوله تبارك اسمه تعالى ((وأمرهم شورى بينهم))(٣٦)والتي ينبغي على الوالي الاسلامي اتباعها وتعني اشتراك الامة في مناقشة القضايا التي تتعلق بهم وتحريك فعالية المسلمين نحو الامور المختلفة ، وتعد هذه من العناصرالعملية في الحيلولة دون التسلط والاستبداد الى جانب الانفتاح على افكار الاخرين بغية التوصل الى الاساليب الناجحة للتعامل مع الامور المختلفة ، وتنشأ اهميتها من امرين التطور والشمولية التي تشهدها القضايا السياسية والثقافية والأخلاقية والاقتصادية وغيرها في مجالات الحياة كافة لا سيما ان التعقيد والتخصيص في اغلب المسائل يجعل من الصعوبة فهمها وادراك مغزاها الا باستشارة ذوي الخبرة والاختصاص لان كل فرد من افراد البشرية مهما امتلك من قوة عقلية وذكاء ومقارنة بالاخرين فأنه يبقى محدوداً في تصوراته ، لذلك فأن أستشارة الاخرين والتعرف على افكارهم يؤدي الى النتيجة الامثل.

وقد كان سيدنا وحبيبنا معلم الاولين والاخرين المصطفى محمد (ص) قد الف مجلساً أستشارياً من الصحابة السابقين في الاسلام اسماهم بأهل الحل والعقد وكان(ﷺ)يستشيرهم في مختلف القضايا الحساسة امتثالاُ لامر الله عز وجل القائل ((وشاورهم في الامر))(٣٧)لذلك امر طاهرا أبنه باقتفاء سيرة المصطفى بأستشارة اهل الرأي لاهمية هذا العملفي ضم الاراء الى بعضها ومن حاصل مجموع الآراء يستخلص الرأي الصائب ، فضلا عن بعدها الاجتماعي والذي يتمثل في تقارب المسلمين من بعضهم فضلا عن انسجام آرائهم نحو مسلك واحد يعود على الجميع بالنفع قائلاً :((واكثر من مجالسة العلماء ومشاورتهم وليكن هواك اتباع اهل السنن واقامتها وايثار

مكارم الاخلاق ومعاليها وليكن اكرم دخلائك وخاصتك من رأى فيك عيباً فمتعه فأن هؤلاء أنصح اوليائك ومضاهريك))(٣٨)

وقد يستفيد عالمنا المعاصر من موضوع الاستشارة بالانفتاح على تجارب الاخرين ولا سيما من الاجهزة المرتبطة بالدولة التي توظف الافراد من ذوي التجربة والحنكة والاختصاص غير ان الامر الذي اغفلته اغلب الاوساط يكمن في المعايير الاخلاقية التي يجب ان تتوفر في هيئة الشورى او الراي وهذا ما اشار اليه بالقول : ((واكثر من مشاورة الفقهاء واستعمل نفسك بالحلم وخذ من اهل التجارب وذوي العقل والرأي والحكمة ولا تدخل في مشورتك اهل الدقة والبخل ولا تسمعن لهم قولاً فضرهم اكثر من نفعهم)).(٣٩)

المبحث الثاني
واجبات الوالي الاسلامي

أولاً : استتباب الأمن

كانت ولا تزال الوظيفة الامنية من الواجبات الاساسية للدولة بحكم فهي ليت منة بل واجب تفرضه مسؤولية الدولة تجاه مواطنيها ، وان التفريط بها يعد احد مظاهر فقدان السلطة لمشروعيتها لعدم قدرتها على توفير الامن للافراد وفيما اذا ارادت السلطة الحاكمة ان تعزز الامن في البلاد عليها ان تُفعل حقوق الانسان لانها الضمانة الاساسية للامنيين الداخلي والخارجي لذلك فأن سياسة الحكومة تعد من ابرز عوامل اشاعة عدم الاستقرار السياسي اذا كانت موجهة ضد حقوق الانسان وحرمان المواطنين من حقوقهم الاساسية.

وفي خضم هذه التوصيفات تبقى القوات المسلحة العنصر الاهم في حفظ النظام والحصن الحصين للحاكم والرعية وقطب الرحى في تماسك اي مجتمع فهي الحارس لكل فضيلة والمساعد المتين لقمع أي رذيلة لذلك جذبت اهتمام الحكومات القديمة والحديثة وحظيت بتشريعات خاصة تضمنت حقوق وواجبات هذه القوات ، ومن هذا المنطلق اوصى طاهر ابنه بالاهتمام بجنده لضمان التفافهم وطاعتهم لاوامره وتفانيهم في اداء الواجبات التي يكلفون بها قائلاً :((تفقد امور جندك في دووانهم ومكاتبهم وادر

عليهم ارزاقهم ووسع عليهم في معاشهم ليذهب بذلك الله فاقتهم ويقوم لك امرهم وتزيد به قلوبهم ويقوم لك امرهم وتزيد به قلوبهم في طاعة امرك))(٤٠).

وعلى الصعيد الخارجي يحدد معالم العلاقة الطيبة للبلاد الاسلامية مع الامم المجاورة والقائمة على الايفاء بالعهود تدعيماً لاركان السلم مع الاخرين لذلك يفترض على كل من اعطى عهداً او ذمة ان يصونها بروحه وجسده وان يفي بها قائلاً ((واذا عاهدت عهداً ففِ به واذا وعدت الخير فانجزه))(٤١).

ثانياً: الواجبات المالية

يحظى المال بأهمية كبيرة في كافة انظمة الحكم القديمة والحديثة الاسلامية وغير الاسلاميةففيه ترتبط ضرورات وتنجز مهامفضلاً عن علاقته المباشرة بحياة الافراد ورزقها والدولة ومشاريعها ، لذلك اهتمت به الدول فوضعت له قوانين وانظمة حاكمة في كيفية جمعه وتنميته وصرفه ومن بين هذه الدول الدولة الاسلامية التي اظهرت حرصاً متواضعاً على نقاوة المال والمحافظة عليه من التدنيس. لان المال هو الاشد حساباً عند الله في عرصات يوم القيامة فحسابه مرتين من اين جمعته وفي اي المجالات انفقته ، فالسعيد من يكسب ماله بالطريق الحلال الذي يرضاه الله وتبا لمن يجمع ماله من السحت الحرام فالنار اولى به ، وفي ضوء هذه الاعتبارات وجه طاهر ابنه بعبارات شديدة اللهجة منذراً ومحذراً اياه من الاقتراب من المال الحرام قائلاً :((واياك ان تجمع حراماً))(٤٢).

اعتمدت الدولة العربية الاسلامية في ماليتها بشكل رئيس على الخراج ونسبة اقل على الزكاة والجزية ، فالخراج هو اجرة الارض التي فتحها المسلمون او حرروها مقابل استغلالها وقد تأخذ نقداً او عيناً وبنسبه متفاوته حسب طبيعة الارض ودرجة خصوبتها وغرسها وبعدها عن الانهار..الخ وبما ان الانتاج الزراعي خاضع للظروف المناخية فقد تمر سنوات مجدبة يتعسر على مستغلي الارض دفع خراجها ، لذلك وجه طاهر ابنه بأن يكون منصفاً ورحيماً مع دافعي الخراج قائلاً :((خذ منهم ما اعطوك عن عفوهم ومقدرتهم))(٤٣)وقد حذره من تكليفهم فوق طاقتهم قائلاً :((ولا تأخذ منهم فوق الاحتمال ولا تكلفن امراً في شطط))(٤٤).

لم تقف عدالة الاسلام عند حدود جمع الواردات وانما شملت الكيفية التي تصرف بها وطريقة توزيعها على مستحقيها وقد شملت جميع المسلمين بدون استثناء

غنيهم وفقيرهم شريفهم وحقيرهم عاطلهم وموظفهم والخاصه والعامه قائلاً :((ما جمعت من مال فوزعه على اصحابه بالحق ولا ترفعن منه شيئاً عن شريف لشرفه عن غني لغناه ولا عن كاتب ولا عن احد من خاصتك))(٤٥)،وحسب اولوية كل فئة في العطاء فجاء حملة القرآن وحفظته في مقدمة المشمولين بالجراية ثم يليهم شرفاء القوم واعيانهم ثم الشرفاء الذين ذلو فاحتجبو عن الظهور امام الناس ثم يليهم الفقراء والمساكين ثمالارامل والايتام ثم فاقد البصر واخيراً الموظفين وخاصة الوالي(٤٦)وما تبقى من المبلغ يقسم الى قسمين قسم يذهب الى البناء والاعمار وما نسميه اليوم (بالتنمية المستدامة) والقسم الاخر يذهب الى الخزينة المركزية للدولة .

ثالثاً : الإصلاح الاجتماعي

كان طاهر متيقظاً ومتحسباً للمسؤوليات الاجتماعية للدولة الاسلامية وفي مقدمتها القضاء على الفقر ومعالجة الامراض والاسقام لما لها من انعكاسات ايجابية على رخاء المجتمع وتطور واعمار البلاد وازدهارهااستناداً الى القول المأثور العقل السليم في الجسم السليم ، ولهذا اكد الى ان الطريق المؤدي الى هذا الهدف يمر عبر مجموعة من المحطات يجب التوقف عندها والنظر فيها ، وكانت اولى هذه المحطات التي اشار اليها طاهر واهمها هو السيطرة التامة على موارد البلاد بواسطة المخلصين ولاناء من ابناء البلد من ذوي الدراية والخبرة ويخشون الله في المعاد يوم تبيض وجوه وتسود وجوه الا من اتى بقلب سليم قائلاً ((استخدم في كور عملك ذوي الرأي والتدبير والتجربة والخبرة بالعمل والعمل بالسياسة والعفاف..))(٤٧)فهذا الاحتراز الذي ابداه حيال القائمين على جمع المال له ما يبرره وهو تخوفه من ان يذهب المال الى جيوب قلة من المتنفذين واصحاب النفوذ وبالتالي حرمان الاكثرية الساحقة من اصلاح حالها. اما التوزيع فقد اوصاه بان يسير وفق القواعد الفقهية الاسلامية والتي شملت الجميع وحسب اولوية كل فئة رغم ان لا وجود للطبقية في الاسلام الا ان الضرورات وعدالة التوزيع كانت تستوجب ذلك فلكل فرد حصة من بيت المال الغني والفقير ، والشريف والمبتذل ،الصغير والكبير ،والأرامل والمساكين والضرير والبصير، العاطل والموظف، قائلاً :((ما جمعت من مال فوزعه على أصحابه بالحق ولا ترفضن منه شيئاً عن شريف لشرفه ولا عن غني لغناه وعن كاتب ولا عن احد من خاصتك))(٤٨).

اما المحطة الثانية التي نبه ابنه بالوقوف عندها وهي مسالة البناء والاعمار او ما نسميه اليوم بالتنمية ففيها تكثر الموارد ويعم الخير والصلاح والفائدة بين الجميع قائلاً:((عليك بالصلاح فيه تكثر موارد بلدك وتتفشى العمارة ويظهر الخصب فيكثر خراجك وتتوفر الاموال وتتقوى به على ارتباط جندك وارضاء عامتك بإقامة العطاء بينهم فكنت في ذلك محمود السياسة مرضي العدل))(٤٩).

اما المحطة الثالثة والاخيرة التي اوصاه بها فهي مسالة العناية بصحة المجتمع ومعالجة ابناءه من الامراض والعلل والاسقام والاوبئة التي يتعرض لها وذلك بالاكثار من "دورٍ تاويهم " ومراكز العناية الصحية على ان تتوفر فيها كافة السبل والوسائل الصحية اللازمة كالادوية والاطباء والممرضين والمعينين وان يكون العلاج فيها مجاني ممول من بيت المال قائلاً:((وانصب لمرضى المسلمين دوراً تأويهم وقوماً يرافقونهم واطباء يعالجون اسقامهم واسعفهم في معايشهم))(٥٠)وقد حذره في الوقت نفسه من الانفاق غير المبرر وذلك لما يؤديه الى هدر في المال العام قائلاً :((على ان لا يؤدي ذلك الى اسراف في بيت المال))(٥١).

وفي ختام العهد دعا طاهر ابنه الى التمحيص والتمعن في كتابه لما تضمنته اسطره من وصايا وارشادات لا يصح الحكم بدونها قائلاً ((تفهم كتابي واكثر النظر فيه والعمل به))(٥٢)ولم ينسى ان يعظ ابنه بأن يستعين بالله والتوكل عليه قائلاً ((استعن بالله على جميع امورك واستخره فأن الله مع الصلاح واهله وليكن اعظم سيرتك وافضل رغبتك ما كان الله في رضى ولدينه نظاماً ولاهله عزاً وتمكيناً وللذمة وللملة عدلاً وصلاحاً))(٥٣).

وفي النهاية كانت الابوة حاضرة بينهم في دعاءه له بالتوفيق والسداد قائلاً ((اني اسأل الله ان يحسن عونك وتوفيقك ورشدك وكلامك وان ينزل عليك فضله ورحمته بتمام فضله عليك وكرمه لك حتى يحبك أفضل امثالك نصيباً واوفرهم حظاً واسناهم ذكراً وامراً وان يهلك عدوك ومن ناؤك ويمن عليك ويرزقك في رعيتك العافية ويحجز الشيطان عنك وساوسه يستعلي امرك بالعزة والتوفيق انه قريب مجيب))(٥٤).

الخاتمة :

كان العهد منهجاً في السياسة الادارية يصح تطبيقه في أي زمان ومكان فضلاً على انه قطعة نثرية رائعة في الادب الديني جسدت جانبا من ارادة السماء في أهل الارض

وكأنما اراد مؤلفها ان يجعل منها مدينة فاضلة عربية واسلامية بإمتياز شأنها في ذلك شأن الفلسفات التي حاول اصحابها ان يقدموا فيها للانسانية رؤية جديدةلمجتمع مثالي خالي من الظلم والجور والاستغلال بمختلف اشكاله لولا انها استندت الى تعاليم الدين الاسلامي.

لقد حاز العهد على قبول ورضا شعبي ورسمي واسع النطاق فقد تناقله الناس وكتبوه وتدارسوه وطارت شهرته في الافاق على حد تعبير الطبري ، وعندما سمع المأمون العباسي به امر بأحضاره وقراءته عليه فعلق عليه قائلاً : ((ما ابقى ابو الطيب شيئاً من امور الدين والدنيا والتدبير والسياسية واصلاح الملك والرعية وحفظ البيضة وطاعة الخلفاء وتقويم الخلافة الا وقد احكمه ووصى به))(٥٥)كما امر بأن يكتب ويوزع على الامصار كبرنامج عمل سياسي واداري.

فهو بحق قاعدة فقهية نظرية وعملية للسياسة الادارية تجاوز نطاق الزمن الذي ظهر فيه صالح للتطبيق في اي وقت وفي اي مكان وخصوصاً في الدول التي يروم حكامها اقامة انظمة حكم على الطراز الاسلامي.

Abstract

The research is an assessment of the entrustment letter of Tahir, the leader of the Tahirian family and "Wali" governor of Kharasan "Persia" in the era of Muslim Calif "Al-Maamon " TahirIbn Al-hussein to his son Abdullah , who later was appointed as the Wali of Riqaa the document was mentioned in the history of prophets and kings of author AbiGaffar Mohammed bin Jareer AL –Tabari , chapter 11 Ledenedition of (1882-1883). The entrustment litter is high significance administration in considering the fact that it is comprehensive to the Arabic Islamic adadministration policy in all its dimensions Additionally , it is considered administration policy portfolio that can be read and revised its interpretations in any time . it is worth to de read by policy –makers who aspire to establish Islamic style systems . the longevity of the entrustment letters and its comprehensive had us focus specifically the distinctive features and duties of the governor that form the main axes of the research paper .

هوامش البحث

١- ابو الطيب طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريف بن أسد الخزاعي ، عميد الاسرة الطاهرية وواحد من اشهر قادة الدولة العباسية وولاتها ، عينه المأمون العباسي والياً على خراسان وعاصمتها مرو التي توفي ودفن فيها سنة ٢٠٧ه ، أنظر الطبري (ت

٣١٠هـ/٩٢٢م)، ابو جعفر محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ١٦ج ، طبعة ليدن ١٨٨٢-١٨٨٣م ، ج ١١،ص ١٠٤٦.

٢-عبدالله بن طاهر بن الحسين ولد في خراسان سنة ١٨٥ه/٧٩٨م ، كان قائداً عسكرياً وادارياً فذاً ، تقلد العديد من المناصب الادارية والعسكرية ، عينه المأمون العباسي والياً على الرقة في سنة ٢٣٠ه ودفن في دينور ، الطبري ، المصدر السابق ، نفسه ص ١٠٤٦

٣-المصدر نفسه ،ص ١٠٤٦.

٤-المصدر نفسه ،ص ١٠٤٧

٥-المصدر نفسه ، ص ١٠٤٨.

٦-المصدر نفسه ، ص ١٠٤٩.

٧-المصدر نفسه ،ص ١٠٥١.

٨-المصدر والصفحة نفسيهما.

٩-المصدر والصفحة نفسيهما.

١٠-المصدر نفسه ، ص ١٠٥٠.

١١-المصدرنفسه ، ص ١٠٤٩.

١٢- المصدر نفسه ، ص ١٠٦٠.

١٣-المصدر نفسه ، ص ١٠٥٤.

١٤-المصدر نفسه ، ص ١٠٤٨.

١٥-المصدر نفسه ، ص ١٠٥٤.

١٦-سورة آل عمران ، الآية ١٨٠.

١٧-الطبري ، المصدر السابق ، ص ١٠٥٤.

١٨-المصدر نفسه ، ص ١٠٦٠.

١٩- المصدر والصفحة نفسيهما.

٢٠-الطبري ، المصدرنفسه ، ص ١٠٥٥.

٢١-سورة المائدة ، أية ٤٥.

٢٢-الطبري ، المصدر السابق ، ص ١٠٥٦.

٢٣-المصدر السابق ، ص ١٠٥٠.

٢٤-الطبري ، المصدر السابق ، ص ١٠٤٩.

٢٥- المصدر نفسه ، ص ١٠٥٧.

٢٦-المصدر والصفحة نفسيهما.

٢٧-المصدر والصفحة نفسيهما.

٢٨-الطبري ، المصدر السابق ، ص١٠٦٠
٢٩-المصدر والصفحة نفسيهما.
٣٠المصدر والصفحة نفسيهما.
٣١-المصدر والصفحة نفسيهما.
٣٢-المصدر نفسه ، ص ١٠٦٠.
٣٣-الطبري ، المصدر السابق ، ص ص ١٠٥٩-١٠٦٠
٣٤-المصدر نفسه ، ص ١٠٦٠.
٣٥-المصدر نفسه ، ص ١٠٥٨.
٣٦- سورة الشورى ، آية ٣٨.
٣٧- سورة ال عمران ، آية ١٥٩.
٣٨- الطبري ، المصدر السابق ، ص١٠٦٠.
٣٩- المصدر نفسه ، ص١٠٥٤.
٤٠-المصدر نفسه ، ص١٠٥٥.
٤١-المصدر نفسه ، ص ص١٠٥٠-١٠٥١.
٤٢-المصدر نفسه ، ص ١٠٥٣.
٤٣-المصدر نفسه ، ص ١٠٥٦.
٤٤-المصدر والصفحة نفسيهما.
٤٥-المصدر والصفحة نفسيهما.
٤٦-المصدر نفسه ، ص١٠٥٩.
٤٧-المصدر نفسه ، ص١٠٥٧.
٤٨-المصدر نفسه ، ص ١٠٥٩.
٤٩-المصدر نفسه ، ص ١٠٥٧.
٥٠-المصدر نفسه ، ص ١٠٥٩.
٥١-المصدر والصفحة نفسيهما.
٥٢-المصدر السابق ، ص١٠٦١.
٥٣-المصدر والصفحة نفسيهما.
٥٤-المصدر والصفحة نفسيهما.
٥٥- المصدر نفسه ، ص١٠٦٢.